رسالة الى جميلة

ملحمة شعرية لم تتم بعد .. مستوحاة من حياة الثائرة الجزائرية الفتاة جميلة بو عزة ... تلك التي شاركت بدمها في عملية تحرير وطنها من المستعمرين الفرنسيين .. ووقفت ذات يوم ، تتلقى الحكم عليها رميا بالرصاص ..)

محمد مفتاح الفيتوري

لن تسمع الجدران يا جميله !
فالسجن مثل جبهة السجان
من حجر صخر .. ومن صوان
وما الذي تصنع راحتان
نحيلتان .. مستطيلتان
لامرأة صغيرة .. نحيله !

***

السجن لا يسمع يا جميله
الا انقضاض المعاول
الا انفجار القنابل
الا عويل الزلازل
السجن سكران .. قاتل
وانت لا فأس ... ولا معول
لاخنجر ماض .. ولا منجل
أنت هنا حمامة تحجل ..
في قدميها السلاسل !!

***

الساعة الآن تدق الغداه
تدق باب الليلة التاليه
الساعة الواحدة .. الثانيه
ثلاث دقات بقلب الحياه
ثلاث خطوات تشد الظلال
وراءها في ظلمة السجن
أي حياة داخل السجن ؟!

هل سألت عيناك هذا السؤال
وأنت بين السوط والقيد
فابتلتا بأدمع الحقد
ام يا ترى لمحت بين الحبال
طلائع الثوار خلف الجبال
وهي تسد الافق بالأيدي
فاهتز في روحك حب جميل
مشى حزينا فوق هذي الرمال
حب فتى جزائري نبيل
ما زال حيا في صفوف النضال
لعله الآن ساهر
يرقب نور الجزائر
لعله الساعة يا جميله
يصغي لتنهيدتك الطويله
حين تدق القبضة الثقيله
ثلاث دقات فجائيه
ثلاث قبضات حديدية
وزحف باب ثقيل
أشبه بالرعد ..
أشبه بالطوفان يا جميله
والليلة .. الليلة صحو جميل
يلوح عن بعد ..
من كوة السجن الضبابيه
لا بد أن الصحو ، هذا الجميل

يلف حتى حائط السجن
لا بد أنه يلف الحقول
وشجر الزيتون ملء السهول
وورق التفاح ، والورد
لا بد أنه يضيء السبيل
لثورة تزحف عن بعد

***

ما أجمل الحياة يا جميله
لولا جنون الطغاة
وقهقهات السجون
لان ظالما يحب الحياه
ويكره الآخرين
لان سيدا يحب العبيد
ويكره الثائرين
لان سجانك يا جميله
ايتها النار الجزائريه
كل جنود الامبراطوريه

***

لا تطرقي رأسك يا جميله
لا تخفضي جبهتك النبيله
قفي بوجه العذاب
شامخة بالعذاب
لا تدعي رحمتهم تغسلك
لا تدعي نقمتهم تقتلك

انـك قبـر الامبراطورية
انك تسقين بآلامـــك
اشعة الشمس الجزائريه
انك تمشين بأقدامـــك
فوق جلال الامبراطوريه
فوق عروش قتله ..
ما زال في أعينهم جـوع الملوك
ما زال في عروقهم دماء القتـله
ما زال فيهم رعشة القراصنـه
تمتد مليـــون ســـنة
ما زال صوت المقصله
يبعث فيهم الحنين والوله

***

اانفض التاريخ يا جميلـــــه
املأ الوجوه بالوجوم
املأ الفضاء بالغيوم
املأ العروق بالثارات
اذن هبيني لحظةمن حياة
حياة روح داخل السجن
حياتك الساعة يا جميلـــه
في ليل زنزانتك الطويلـــه
حين تدور ساعة الحزن
ثلاث دورات فجائيـــه
وحين لا ينفذ لـــلاذن
الا خطى الجند الحديديه
وهي تجوب ساحة السجن
في رعشة شبه جنونيه
اذن هبيني قوة الوجـود
قوة انسانية البشر
قوة الف ثائر في القيود
يفجرون طاقة القدر
قوة شعبـك العظيـم
غضبان ، فرحان ، ثائر
قوة روحك المطل كالنجوم
فوق سماء الجزائر

***

يا ربما ترتجفين الان
في اطراقة طويلـــه
يا ربما تبتسمين الآن
فالتاريخ يـا جميلـه
تاريخنا حكاية حزينه
في قطرات دمنا دفينه
نقرأها فتستحم العيون
في عبق الذكريات ...
وتسطع الشمس على الساهرين
وتولد الاغنيات ..
« وفي المساء دخل القراصنه
ميناء بحر الروم
تحملهم أجنحة الرياح
وكان في «وهران» ضوء مئذنه
تطل في وجـوم
كأنما تهم بالصيـاح
وهي ترى السفائن القادمـه
صامتة ، واجمـه
غادرة ، ناقمـــه
وهي تراهم من بعيد
وهي ترى الخوذات، والرماح، والبنادق
وهي ترى الرايات ، والخيول، والمحارق
« ودخل القراصنه
وشهقت أمواج بحر الروم
يا ويل بحـــر الروم
كان بحيرة صغيرة ، تعوم
في مائها الاطفال ، والنجوم
وتعبـر الريـاح الساكنـــه
وقبلما تصرخ روح الازمنـــه
« ألف ومئتان ، وخمسون سنة »
أطل فجـــر حزيـــن
غريان اصفر
يلوح في مرآته معسكر
وفارسان من رجال المسلمين
ملثمان ، يقســـمان
ويحفنان حفنتين من ثرى الجزائر
« بحق وهران ، وتلمسان
« لن ندع الكفار يهتكـون
« ما خبأته الحرائر
« لن ندع الكفار يحرقون
« ما قدسته الشعائر
وعندما تقابل الجيشان
والفجر في دموعه غرقان
صاح رجال الشيخ محي الدين
باسمك يا واحد نستعيـــن
الله اكبر ..
فالتقت الاصداء في حنيـــن
حول جبال المغـرب الحزين
الله اكبر
الله اكبر

***

ومرت الاعوام يا جميله
مرت على أقدامها هزيلـه
وكان كل عام
يمر بالجزائـر
ينجب في الظلام
ألف امير مثل عبد القادر
مثلك في حشاه يحمل الرصاص
ساخرا من المنون
ومثل « بن بيللا » يغني للقصاص
وهو طائر سجين (١)

محمد الفيتوري

(١) ـ الملحمة لم تتم